

دور الشباب في إنقاذ الأمة

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

تحميش:

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

هناك عناصر عديدة يلزم الأخذ بها بعين الاعتبار قبل القيام بأي مشروعٍ نهضوي من أجل الإنسان والإنسانية، ومن أهم هذه العناصر:

أولاً: الخلق الذي يتمتع به صاحب الفكرة أو المشروع.

ثانياً: تهيئة القاعدة أو الأتباع.

ثالثاً: وجود الدعم المادي أو القوة الاقتصادية.

وهناك عوامل أخرى قد تكون ثانوية قياساً إلى ما ذكر.

تعتبر القاعدة أو الأتباع من الأمور المهمة لديمومة الفكرة والدفاع عنها والتضحية من أجلها. وكذلك الجانب الاقتصادي والدعم المالي، فهو أيضاً له الدور المهم، قد لا يقل أهمية عن العنصر الأول. وكذلك أخلاق صاحب الفكرة وصاحب الدعوة الذي لا بد أن يتمتع بأخلاق عالية كي يكون قدوة أسوة لغيره من أتباعه.

ولو نظرنا إلى الإسلام كدين سماوي، وفكر رسالي، نلاحظ أنه اعتمد اعتماداً أساسياً على هذه العناصر التي ذكرناها آنفاً. فلولا سيف علي بن أبي طالب (عليه السلام) للدفاع عن المسلمين أمام هجمات المشركين، ولولا فتوته الشريفة، وتفانيه الجم لنشر الدعوة لما قامت للإسلام قائمة، حيث نرى المولى أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنذ نعومة أظفاره كان يدافع عن الإسلام وصيانه، منذ اليوم الأول لبزوغ فجر الإسلام العظيم على الإنسانية، مروراً بأيام النشأة الأولى للدين الجديد، وخلال تسنّمه المهام العديدة من حماية صاحب الرسالة بمببته بفراشه الشريف، وهجرته من مكة بخروجه حارساً عظيماً للفواطم بعد أمر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) له باللحاق به في المدينة. فخرج من مكة ومعه الفواطم

ولم يعبأ بقريش وأذناهما من الذين تبعوه في عمق الصحراء لإعادة ودائع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهناك جندل أحد فرسان قريش الذي حاول الاقتراب منهم، فلما رأى القرشيون ما صنع بصاحبهم ولّوا هاربين. إلى غير ذلك من المواقف البطولية العظيمة له (عليه السلام)، كمواقفه المشهورة في معركة بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين وغيرها، فقد كان لسيفه ذي الفقار الدور البارز في الدفاع عن هذا الدين الحنيف، حتى ورد عن الإمام الحسن (عليه السلام): «استوى الإسلام بسيف علي»^(١).

أما في الجانب المادي أو الاقتصادي الذي له فعله الفاعل في نشر الفكر، ودعم الأتباع والأنصار، فقد كان لأموال السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين (صلوات الله عليها) الأثر الكبير، خاصة في بدو الإسلام، وكذلك عندما حوضر المسلمون في شعب أبي طالب وقاطعتهم قريش ومن تحالف معها، فهذه المرأة العظيمة ضحت بأموالها من أجل الإسلام، كل ذلك قرينة إلى الله سبحانه وتعالى.

وكيفما كان، فهذا الدين الحنيف الذي أرسى قواعده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأشاد بنائه أمير المؤمنين والأئمة الأطهار من ولده (صلوات الله عليهم أجمعين)، اعتمد على الشباب في بداية نهضته بشكل كبير ورئيسي، فهذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) سيف الله في أرضه، وذاك عمار بن ياسر الذي ضرب أروع الأمثلة في الصبر والثبات في جميع مراحل حياته مع هذا الدين الحنيف، سواء المرحلة التي عاشها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مكة، أو المرحلة التي كان فيها الاستقرار للمسلمين في المدينة، أو المرحلة الخطرة في حياة الأمة بعد غياب صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله) والانحراف الكبير الذي حصل عند قسم كبير من المسلمين بالسكوت على اغتصاب الخلافة من أهلها الحقيقيين، فنراه (رضوان الله عليه) كيف وقف مع الحق ولم يفارقه حتى أواخر عمره، وكذلك موقفه في صفين واستشهاده بين يدي المولى العظيم أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يخفى على البصير.

وهذا الصحابي مصعب بن عمير الفتى اليافع صاحب النضارة والحسن والأدب الرفيعين، كيف يهجر حياة الترف والدعة والرفاه إلى رضا الله الواحد الأحد رغم الحياة الصعبة والمعاناة

(١) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ١٨٠ ب ٣٩ ح ١٧٤.

التي تعرض لها لاعتناقه الدين الجديد، ورغم كونه محاطاً بجشوبة العيش وخشونة الملابس وعداوة الأحبة، يرضى هذا الشاب اليافع بكل ذلك من أجل رضا الله...
لقد نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الشباب نظرة ثابتة، وأولاهم أهمية قصوى في حركة الأمة.. فنراه (صلى الله عليه وآله) أعطى الراية لأسامة بن زيد الشاب الذي لم يتجاوز العشرين من العمر . وقيل الثامنة عشر . وأمر الصحابة أن يأتمروا بأمره ويطيعوا قائد الجيش الشاب، حتى كان بعض المسلمين يناديه بالأمير بقية حياته. فقد جعلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتباع لفتى شاب، وأراد (صلى الله عليه وآله) - بهذا الأمر وغيره . أن يبين للأمة المقاييس الحقيقية للتفاضل، وأن العمر ليس مقياساً فالرجل المناسب في المكان المناسب، وقد قال (صلى الله عليه وآله) في قضية تولية عتاب بن أسيد على مكة بعد فتحها: «ولا يحتج محتج منكم في مخالفته بصغر سنه، فليس الأكبر هو الأفضل بل الأفضل هو الأكبر، وهو الأكبر في مولاتنا وموالاة أوليائنا ومعاداة أعدائنا»^(٢) .

ولعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أراد . في قصة إمارة أسامة . أن يمهد لتسلم الخلافة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، حتى لا يحتج البعض بأن فلاناً أسنّ من علي بن أبي طالب (عليه السلام) . وربما كان من رواسب الأفكار والعادات الجاهلية أن البعض كانوا لا يعيرون أهمية للشباب، ولا يعطونهم الدور المناسب في شؤون الحياة. ولكن الأمم والحضارات تقوم بشيئها وشبابها كل في اختصاصه.

ونحن إذ نعيش الآن في القرن الواحد والعشرين نرى أغلب الأنظمة تضع الأطروحات والخطط المربية للسيطرة على القوى الشبابية في العالم عبر برامج عديدة، فإذا استطاعوا السيطرة على الشباب استطاعوا السيطرة على مستقبل الأمم ومقدرات والشعوب.

ولو عدنا إلى الوراء وبالتحديد قبل أربعة عقود من الآن أو أكثر، وعند مجيء أغلب الأحزاب العميلة للشرق والغرب، الغربية عن مبادئ الإسلام الحنيف، نراها اهتمت أشد الاهتمام بالشباب، بل وباليفاعين والأطفال أيضاً؛ فقد أوجدوا المؤسسات التي تحتضن الأطفال كي يربوهم وفق مبادئهم وأهدافهم التي يصبون إليها، تربية بعيدة عن الخلق

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٢١ ب ٢٦ فتح مكة.

رجوع إلى القائمة

الإسلامي، ورفعوا شعار (نكسب الشباب لنضمن المستقبل) فأخذوا يفسدون الطفل والفتيان والفتيات عبر مؤسسات اتحاد الشباب أو منظمات الطلائع والفتوة، وما أشبه، فإذا سيطروا على الطفل ضمنوا مستقبلهم في البلد، وبالتالي يكون من السهولة السيطرة على ذلك الشعب ومقدراته.

وفي هذا الكتاب يبين المرجع الراحل الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) دور الشباب وأهميتهم في بناء المجتمع الإسلامي، وأهمية النضج الذي من المفروض أن يتمتعوا به؛ لكي يكونوا قادة المستقبل. كما يبين قَدْرُ كيف أن الإسلام أولى اهتمامه ومنذ نشوئه بالشباب، وأعطاهم الفرصة لإثبات إمكانياتهم وطاقاتهم.. حتى كيفية محاورتهم بأسلوب شيق وبناء من أجل تهيأتهم لغدٍ مشرقٍ وحياةٍ أفضل.

هذا ونظراً لما نشعر به من مسؤولية كبيرة في نشر مفاهيم الإسلام الأصيلة قمنا بطبع ونشر هذه المحاضرة، التي هي جزء من سلسلة المحاضرات الإسلامية القيمة لسماحة الإمام الراحل (أعلى الله درجاته) والتي ألقاها خلال فترة زمنية تتجاوز الأربعة عقود من الزمن في العراق والكويت وإيران..

نرجو من المولى العلي القدير أن يوفقنا لطبع ونشر ما يتواجد منها، والسعي لتحصيل المفقود منها وإخراجه إلى النور، لنتمكن من نشر سلسلة إسلامية كاملة ومختصرة، تنقل إلى الأمة وجهة نظر الإسلام تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية الحيوية بأسلوب واضح وبسيط..

إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص.ب: ٥٩٥٥ / ١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة
الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قدوة وأسوة

قال عزوجل في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).
وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٤).

جاء في تفسير هذه الآية: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ معاشر المكلفين ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة صالحة، يقال: لي في فلان أسوة، أي: لي به إقتداء، والأسوة من الإلتساء،
كما أن القدوة من الإقتداء، اسم وضع موضع المصدر. والمعنى: كان لكم برسول الله (صلى
الله عليه وآله) إقتداء، لو اقتديتم به في نصرته، الصبر معه في مواطن القتال، كما فعل هو يوم
أحد إذ انكسرت ربايعته (٥)، وشُجَّ حاجبه، وقتل عمه، فواساكم مع ذلك بنفسه، فهلاً
فعلتم مثل ما فعله هو. وقوله: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بدل من قوله ﴿لَكُمْ﴾، وهو تخصيص
بعد العموم للمؤمنين، يعني: أن الأسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله) إنما تكون ﴿لِمَن
كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ أي: يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم، عن ابن عباس. وقيل: معناه

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) سورة الأحزاب: ٢١.

(٥) الرباعية: بالفتح، السن التي بين الثانية والناب من كل جانب، والجمع رباعيات بالتخفيف، وللإنسان أربع رباعيات، انظر

جمع البحرين: ج ٤ ص ٣٢٩ (ربع).

يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال (٦) .

فحياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) مليئة بالدروس الأخلاقية والعبر التي ينبغي للإنسان المسلم أن يتبعها ويطبّقها في سلوكه اليومي .

فمن جملة هذه الدروس التي حفظها لنا التاريخ أنه (صلى الله عليه وآله) في حياته الشريفة، وبإخلاصه وجهده المبارك وصبره وتحمله، تمكن من نشر الفكر الإسلامي وقضى على عادات الجاهلية التي كانت متفشية حينذاك، فعمل من أجل بناء مجتمع تسوده المحبة والإخاء، واستطاع أن ينقل الإنسان المسلم إلى أعلى مراتب العلم والكمال، وأن يحدث هذا التغيير العملي العظيم في واقع المجتمع الجاهلي، الذي كان يسوده التخلف والجهل والظلم والظلام، وذلك بقوة إيمانه، وعميق فكره، وطول صبره على الأذى، حتى قال (صلى الله عليه وآله) : «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد، ولقد أتت علي ثلاثون ما بين ليلة ويوم مالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال» (٧)

وعن حفص بن غياث، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «يا حفص، إن من صبر صبر قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً . ثم قال: . عليك بالصبر في جميع أمورك؛ فإن الله عزوجل بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) ، فأمره بالصبر والرفق فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يُقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾ (٨) ، وقال تبارك وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوَّ حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٩) .

فصبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى نالوه بالعظائم، ورموه بها، فضاق صدره، فأنزل الله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿١٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١٠) .

(٦) تفسير مجمع البيان: ج ٨ ص ١٤٤ سورة الأحزاب.

(٧) حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار: ج ١ ص ٣٥٠ ب ٤٩ ح ٦.

(٨) سورة المزمل: ١٠، ١١ .

(٩) سورة فصلت: ٣٤ - ٣٥ .

(١٠) سورة الحجر: ٩٧ - ٩٨ .

ثم كذبه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله عزوجل: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴿١١﴾ .

فألزم النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبه، فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿١٢﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴿١٢﴾ . فصبر النبي (صلى الله عليه وآله) في جميع أحواله، ثم بشر في عترته بالأئمة (عليهم السلام) ووصفوا بالصبر، فقال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ . فعند ذلك قال (صلى الله عليه وآله) : الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عزوجل ذلك له فأنزل الله عزوجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿١٤﴾ .

قال (صلى الله عليه وآله) : إنه بشرى وانتقام، فأباح الله عزوجل له قتال المشركين، فأنزل الله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْضِرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ﴿١٦﴾ فقتلهم الله على يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحباؤه، وجعل له ثواب صبره، مع ما ادخر له في الآخرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في أعدائه، مع ما يدخر له في الآخرة» ﴿١٧﴾ .

فاستطاع (صلوات الله وسلامه عليه) أن يقضي على جميع المحاولات التي كان من ورائها إلقاء الفتن والتفرقة والاختلاف بين فئات المجتمع، حيث بين (صلى الله عليه وآله) لهم أن المسلمين يد واحدة على من سواهم، وقوة واحدة وأخوة في الله، لا يفرق بين أحد منهم؛

(١١) سورة الأنعام: ٣٤-٣٥ .

(١٢) سورة ق: ٣٨-٣٩ .

(١٣) سورة السجدة: ٢٤ .

(١٤) سورة الأعراف: ١٣٧ .

(١٥) سورة التوبة: ٥ .

(١٦) سورة البقرة: ١٩١ .

(١٧) حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار: ج ١ ض ٣٣٩ ب ٤٨ ح ١ .

لأنهم ما داموا يشككون شرائح المجتمع الإسلامي، وينصرون الله ورسوله، فإنه لا فرق بين غني ولا فقير، ولا كبير وصغير، ولا ضعيف وقوي إلا بالتقوى والإيمان، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١٨).

وكما استطاع (صلوات الله وسلامه عليه) أن ينقي المجتمع الإسلامي من حالة التمايز وحالة الخصوصيات الطبقية التي كانت منتشرة بين مختلف طبقات المجتمع قبل الإسلام. فمثلاً، كان الغني يظلم الفقير، والقوي يأكل الضعيف، وكان كل واحد منهم يريد سحق الآخر، وكان الشاب في العصر الجاهلي يحاول وبكل ما أوتي من قوة أن يلغي دور كبار السن، وفي الوقت نفسه كان أولئك الشيوخ الطاعنون في السن يحاولون إلغاء دور الشباب، باعتبارهم أصحاب تجربة طويلة وحنكة في الحياة.

فقد قال أمير المؤمنين في خطبة له (عليه السلام): «فألله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية؛ فإنه ملاحح الشنثان^(١٩) ومنافخ الشيطان، التي خدع بها الأمم الماضية والقرون الخالية، حتى أعنقوا^(٢٠) في حنادس^(٢١) جهالته ومهاوي ضلالته، ذللاً^(٢٢) عن سياقه، سلساً في قياده، أمراً تشابحت القلوب فيه، وتتابعت القرون عليه، وكبرا تضايقت الصدور به.

ألا فالحذر الحذر، من طاعة سادتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا المهجينة^(٢٣) على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه؛ فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهلية^(٢٤). فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم أزدادا، ولا لفضله عندكم حسادا، ولا تطيعوا الأذعياء^(٢٥) الذين شربتم بصفوكم كدرهم^(٢٦)، وخلطتم بصحتكم مرضهم، وأدخلتم في حقكم

(١٨) سورة الحجرات: ١٣.

(١٩) الشنآن: البغض.

(٢٠) أعنقوا: من أعنقت الثريا، أي غابوا واختفوا.

(٢١) الحنادس: جمع حندس، الظلام الشديد.

(٢٢) الذلل: جمع ذلول، من الذل، ضد الصعوبة، والسياق هنا السوق.

(٢٣) المهجينة: الفعلة المستهجنة.

(٢٤) اعتزاء الجاهلية: تفاخرهم بأنسابهم، كل منهم يعتزى أي: ينتسب إلى أبيه، وما فوقه من أجداده.

(٢٥) الادعياء: جمع دعي، وهو من ينتسب إلى غير أبيه، والمراد منهم الأخساء المنتسبون إلى الأشراف، والأشرار المنتسبون إلى

باطلهم، وهم أساس^(٢٧) الفسوق وأحلاس^(٢٨) العقوق، اتخذهم إبليس مطايا ضلال، وجنداً بهم وصول على الناس، وتراجمة ينطق على ألسنتهم، استراقا لعقولكم، ودخولا في عيونكم، ونفثا في أسماعكم، فجعلكم مرمى نبلة وموطئ قدمه ومأخذ يده.

فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته، واتعظوا بمثاوي حدودهم ومصارع جنوبهم، واستعينوا بالله من لوائح الكبر كما تستعينونه من طوارق الدهر، فلو رخص الله في الكبر لأحدٍ من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنه سبحانه كره إليهم التكابر ورضي لهم التواضع. فألصقوا بالأرض حدودهم، وعفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوما مستضعفين، قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهددة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره، فلا تعتبروا الرضى والسخط بالمال والولد، جهلا بمواقع الفتنة والاختبار، في موضع الغنى والافتقار، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِ يَدَيْهِمْ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢٩) فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم»^(٣٠).

الرسالة العظيمة والمرأة

وهكذا تجد الصراع قائماً حول المرأة، فقد كانت المرأة في ذلك العصر مغلوبة على أمرها، ومنتهكة الحقوق، مسلوبة الحرية؛ فقد كانوا لا يسمحون لها بأن تُظهر قدراتها لممارسة دورها المشروع في الحياة، والمشاركة في بناء وتطوير المجتمع، فيصف أمير المؤمنين (عليه السلام) حال

الأخبار.

(٢٦) أي: خلطوا صافي إخلاصكم بكدر نفاقهم، وسلامة أخلاقكم مرض أخلاقهم.

(٢٧) أساس: جمع أساس، دعامة الشيء.

(٢٨) الأحلاس: جمع حلس، كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له، فقيل لكل ملازم لشيء هو حلسه، والعقوق العصيان.

(٢٩) سورة المؤمنون: ٥٥ - ٥٦.

(٣٠) نوح البلاغة، الخطب: ١٩٢، من خطبة له (عليه السلام) تسمى القاصعة.

العرب في الجاهلية فيقول: «فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل (عليهم السلام) فما أشدّ اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الأمثال . إلى أن قال . فتركوهم عالية مساكين إخوان دبر ووبر، أذل الأمم دارا، وأجدبهم قرارا، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظلّ ألفة يعتمدون على عزّها، فالأحوال مضطربة والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة، في بلاء أزل وأطباق جهل، من بنات موءودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة»^(٣١) .

فجاء الإسلام العزيز وأكرم المرأة أيما إكرام، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عوان عندكم»^(٣٢) .

وقيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) . في حديث :: فما للنساء على الرجال؟ قال (صلى الله عليه وآله) : «أخبرني أخي جبرئيل، ولم يزل يوصيني بالنساء حتى ظننت أن لا يحل لزوجها أن يقول لها: أف . فقال جبرئيل . يا محمد، اتقوا الله عزوجل في النساء فإنهن عوان بين أيديكم، أخذتموهن على أمانات الله عزوجل ما استحلتتم من فروجهن، بكلمة الله وكتابه من فريضة وسنة وشريعة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) ، فإن لهن عليكم حقاً واجباً لما استحلتتم من أجسامهن، وبما واصلتم من أبدانهن، ويحملن أولادكم في أحشائهن حتى أخذهن الطلق من ذلك . فأشفقوا عليهن، وطيبوا قلوبهن حتى يقفن معكم، ولا تكرهوا النساء ولا تسخطوا بهن، ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً إلا برضاهن وإذنهن»^(٣٣) .

وقال (صلى الله عليه وآله) : «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وخياركم خياركم لنسائه»^(٣٤) .

وقال (صلى الله عليه وآله) : «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»^(٣٥) .
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرف منه

(٣١) نهج البلاغة، الخطب: ١٩٢، من خطبة له (عليه السلام) تسمى القاصعة.

(٣٢) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٢ ب ٦٨ ح ١٦٦٢٨ .

(٣٣) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٢ ب ٦٨ ح ١٦٦٢٧ .

(٣٤) أمالي الطوسي: ص ٣٩٢ المجلس ١٤ ح ١٢ .

(٣٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٤٣ باب حق المرأة على الزوج ح ٤٥٣٨ .

على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله يوم القيامة»
(٣٦)

الابتعاد عن الروح الإسلامية

وما زال ذلك الاختلاف والتمايز الجاهلي في تلك العصور، يتغلغل بين صفوف بعض المجتمعات التي يعيش أفرادها بعيداً عن الإسلام والروح الإسلامية، فكما لا يخفى أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قضى على حالة التفاضل بالجاء والأنساب، التي كانت منتشرة وقت ذلك، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة: «أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى قد ذهب عنكم بنخوة الجاهلية وتفاخرها بأبائها، ألا إنكم من آدم وآدم من طين، وخير عباد الله عنده أتقاهم، إن العربية ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق فمن قصر به عمله فلم يبلغه رضوان الله حسبه، ألا إن كل دم كان في الجاهلية أو إحنة فهو تحت قدمي هاتين إلى يوم القيامة» (٣٧).

إذ أنه (صلى الله عليه وآله) قام بإرساء قواعد وقوانين جديدة، على أساسها يكون التفاضل، وهي قاعدة التقوى والإيمان، وحث على المنافسة بين المسلمين في أعمال الخير والصلاح، حيث باشر (صلى الله عليه وآله) بعملية المساواة بين المسلمين، وذلك عن طريق جمع شمل جميع الفئات المتنازعة والمتصارعة، وجعلها في خط واحد، وهدف مشترك، وهو خط الإسلام الصحيح ومبادئه، وبدون أن يفرض بأحد منهم، فكان (صلى الله عليه وآله) كثيراً ما يتلو على أسماعهم الآية الشريفة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٣٨)، وكذلك دائماً يقول لهم: «ألا أنكم من آدم، وآدم من تراب، والله لعبد حبشي حين أطاع الله خير من سيد قرشي عصى الله» (٣٩).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «كان سلمان جالسا مع نفر من قريش في

(٣٦) الكافي: ج ٦ ص ٥ باب فضل البنات ح ٦.

(٣٧) معاني الأخبار: ص ٢٠٧ باب معنى العربية ح ١.

(٣٨) سورة الحجرات: ١٣.

(٣٩) تفسير القمي: ج ٢ ص ٩٤ سورة المؤمنون.

المسجد فأقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم، حتى بلغوا سلمان فقال له عمر بن الخطاب: أخبرني، من أنت، ومن أبوك، وما أصلك؟

فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالا فهداني الله عزوجل بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وكنت عائلا فأغناني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وكنت مملوكا فأعتقني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله)، هذا نسبي وهذا حسبي.

قال: فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلمان (رضي الله عنه) يكلمهم، فقال له سلمان: يا رسول الله ما لقيت من هؤلاء، جلست معهم فأخذوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم، حتى إذا بلغوا إلي قال عمر بن الخطاب: من أنت وما أصلك وما حسبك؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): فما قلت له يا سلمان؟

قال: قلت له: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالا فهداني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وكنت عائلا فأغناني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وكنت مملوكا فأعتقني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه وآله)، هذا نسبي وهذا حسبي.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا معشر قريش، إن حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، وقال الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤٠) ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله) لسلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضلٌ إلا بتقوى الله عزوجل، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل»^(٤١).

فجعل لكل فرد من أفراد المجتمع دوره الذي يؤديه لخدمة دينه وأمته الإسلامية، فكان (صلى الله عليه وآله) يحترم الشباب أمثال (علي (عليه السلام)، مصعب، أسامة، بلال) ويمجد بمواقفهم البطولية وقدراتهم، وكان أيضاً يكرم كبار السن، ويبين دورهم الكبير بين المسلمين.

ونتيجة لهذه المساواة، وتنظيم وتعبئة طاقات المسلمين وتوحيد صفوفهم وجهودهم، عمت المجتمع الإسلامي آنذاك حالة رفاه عام، في مختلف مجالات الحياة، فساد الأمن والاستقرار

(٤٠) سورة الحجرات: ١٣.

(٤١) الكافي: ج ٨ ص ١٨١ كتاب الروضة ح ٢٠٣.

ربوع الدولة الإسلامية.

لكنك إذا أخذت بعين الاعتبار مثل هذا الاحترام والمساواة في الحياة الغربية، فإنك ستجدها بلا شك خالية من مثل هذه العقائد النبيلة السامية؛ ولهذا كثير من الغربيين لا يحترمون كبار السن أبداً، حتى إذا كان ذلك الكبير والده أو والدته أو أحد أقربائه، بل إنه ما إن يكبر ويصبح عاجزاً عن أداء العمل تراهم يذهبون به إلى مصحات خاصة، تسمى: بـ (دور العجزة) ويبقى هناك إلى أن يموت وينتهي أجله، ولا يستفيدون عادة من آرائهم وتجاربهم الحياتية الطويلة، لكونهم ينظرون إلى الأشخاص بمقدار ما يمتلكون من قدرة العمل والإنتاج المادي، بينما الإنتاج المادي ليس بوحده مقياساً للشخص في الإسلام، بل إن مقياس وقيمة الشخص التي ينظر لها الإسلام عند كبار السن أو الشباب أو النساء هو مقدار التقوى والإيمان الذي يمتلكه ذلك الشخص؛ لذا فقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد على توقير الشيوخ من الآباء والأجداد وحتى غير الأقرباء، وتحث على احترامهم ورعايتهم، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من عرف فضل كبيرٍ لسنه فوقه آمنه الله من فزع يوم القيامة»^(٤٢).

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «إن من إجلال الله عزوجل إجلال الشيخ الكبير»^(٤٣).

وقال (عليه السلام): «رأي الشيخ أحب إلي من حيلة الشباب»^(٤٤).

وخلاصة الكلام، فإن رسول الهداية (صلى الله عليه وآله) جاء إلى البشر عامة والمسلمين بوجه أخص وهو قدوة وأسوة لهم، وذلك بالنص الصريح والمحكم للقرآن الكريم. حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤٥).

واقع بلا أسوة

(٤٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٥٨ باب وجوب إجلال ذي الشبهة المسلم ح ٢.

(٤٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٥٨ باب وجوب إجلال ذي الشبهة المسلم ح ١.

(٤٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٥ ب ٤٨ ح ٣٩.

(٤٥) سورة الأحزاب: ٢١.

عندما ننظر إلى واقع حياتنا المعاصرة، نتساءل أين هي هذه الأسوة المباركة التي تحدث عنها الله في كتابه الكريم، وأمرنا بالتأسي بها؟.

وأين التطبيق العملي لها؟

إننا نتحدث عن الأسوة دائماً في كتبنا، ونتكلم بها في كل مجلس، لكن التأسي بها في الواقع الخارجي غير موجود، نرى أن هذه الآية الشريفة غدت وكأنها حبر على ورق، مع العلم بأن القرآن عندما يتطرق لمثل هذه الأمور فإنما هو لمصلحتنا، وللحفاظ على مستقبلنا وديننا وحياتنا.

إن الذي نريد الإشارة إليه هو أننا - وللأسف الشديد - فقدنا الكثير والكثير من الأعمال والأفعال التي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتخذها أساساً وقواعد لبناء وإرساء معالم الدين الإسلامي، التي هي عبرة لكل من يعتبر على مر العصور وكرّ الأزمان اللاحقة، لذا يلزم أن نطبق تلك الأفعال ونجعلها دروساً نسلك بها مناهجها، حتى نستطيع التحرز من الوقوع بمطبات ومهالك، تؤثر على مستقبلنا ومستقبل أمتنا الإسلامية (٤٦).

لكن الذي نراه في هذا الوقت، أن بعضنا قد أصبح متأسيّاً ومتبعاً لعادات وتقاليد الحياة الغربية، لا الحياة الشريفة لرسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) وأئمتنا القادة الهداة الطاهرين (عليهم السلام).

(٤٦) يتجلى عدم الاهتمام الكافي بالشباب لو أخذنا في الاعتبار الإحصائيات الأخيرة التي تقول: إن الشباب في العالم بلغ عددهم مليار وخمسة ملايين شاب وهؤلاء تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والرابعة والعشرين وهي أعلى نسبة للشباب في التاريخ وهذا العدد هو لغاية ١٢/١١/١٩٩٩.

الرسول (صلى الله عليه وآله) يختار الشباب الصالحين

لقد كان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يختار الشباب المؤمنين الصالحين، ويجعلهم في بعض المناصب والوظائف الحساسة، لإدارة ما يرتبط بالأمة الإسلامية؛ والسبب في ذلك الاختيار يرجع إلى عدة أمور:

أولاً: لأن الشاب في بداية شبابه يشعر بأن له قوة عظيمة تمكنه أن يكون مؤثراً في العالم، وله القابلية على العمل والإبداع، وهو ذو حب كبير للنشاط والخدمة، واستعداد دائم للتضحية من أجل أفكاره وآرائه، ويحاول أن يضحّي بنفسه من أجلها، فإنه عادة لا يتشبّب بالحياة كثيراً كالرجل الكبير؛ لأن طبيعة الإنسان كلما طال بقاؤه في الدنيا ازداد حرصاً وطمعاً فيها، وكما جاء في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث قال: «ويهرم ابن آدم وتشبّب فيه اثنتان: الحرص وطول الأمل»^(٤٧).

أما كثير من الشباب فتقل فيهم هذه الحالات عادة.

ثانياً: في مرحلة الشباب يشعر الشاب بتفتح عقله، وكذلك يشعر بأن مواهبه تتفجّر، حيث يبدأ بالتفكير الدقيق، فتشخص في ذهنه الكثير من الأسئلة وعلامات الاستفهام عن الحياة والمجتمع، والتي لا بد له من تحصيل الإجابة عليها؛ لذلك نراه يقوم بالبحث عن الأجوبة، ولو كلف ذلك حياته أحياناً، فتراه مستعداً لأن يعتنق الفكرة الجديدة التي ينسجم معها أحياناً مهما كانت خطورتها ومصاعبها.

وإننا إذا راجعنا التاريخ متتبعين فيه حياة الأنبياء (عليهم السلام) يتبين لنا أن العديد من الرسائل السماوية إنما قامت على أكتاف الشباب، فهم الذين كانوا يتسابقون إلى الإيمان بالدين وتقبل تلك الأفكار الجديدة، وكانوا على أهبة الاستعداد دائماً للتضحية في سبيل هذه المبادئ القيمة.

فمثلاً: نبي الله نوح (عليه السلام) حينما أعلن دعوته التوحيدية في ذلك المجتمع المنحل،

(٤٧) إرشاد القلوب: ص ١ ص ٣٩ ب ٧.

من الذي استجاب له ونصره؟ ومن الذي لبّى نداءه، وهو نداء الحق؟ نجد أن الذي تجاوب معه (عليه السلام) هم مجموعة من الشباب الفقراء المؤمنين، الذين سارعوا لنصرة نوح (عليه السلام) والإيمان بما جاء به من الحق، أما بقية قومه وهم كثرة، فإنهم ظلوا على كفرهم، ولم يؤمنوا به، ولم يكتفوا بهذا، بل كانوا ينتقصون منه (عليه السلام) ومن أتباعه، ويقولون لهم: أنتم مجموعة من الشباب الفقراء الخاملين الذكر في المجتمع، كما ورد في القرآن الكريم حيث قال عزوجل: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ﴾ (٤٨). وعندما صدع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالدين الجديد والأفكار الإسلامية الجديدة، نرى أن الذين سارعوا إلى الإيمان به (صلى الله عليه وآله) واعتنقوا الدين الجديد كان منهم ثلثة ومجموعة من الشباب، فأول من آمن وأسلم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والذي كان عمره لا يتجاوز العشر سنين (٤٩)، وكان منهم جعفر بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، ومصعب بن عمير، وبلال الحبشي، ومعاذ بن جبل، وزيد وغيرهم (٥٠)... وهذا سبب من أسباب عديدة وقع بموجبها اهتمام الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالشباب وتحميلهم مسؤوليات كبيرة في أمور الدولة الإسلامية. روي عن إسماعيل بن عبد الخالق قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأبي جعفر الأحول وأنا أسمع: «أتيت البصرة؟».

فقال: نعم.

قال: «كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخولهم فيه؟».

فقال: والله إنهم لقليل، ولقد فعلوا، وإن ذلك لقليل.

فقال: «عليك بالأحداث فانهم أسرع إلى كل خير...» (٥١).

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «أي بني، إني لما رأيتني قد بلغت سنّاً ورأيتني أزداد

(٤٨) سورة هود: ٢٧.

(٤٩) انظر بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٤٣ ب ١ ح ٣٨.

(٥٠) لا يخفى أن كل هؤلاء الصحابة قد أسلموا في بداية الدعوة المحمدية وأغلبهم لا يتجاوز عمره العشرين عاماً، وقد روي: إن عمر معاذ بن جبل كان ثمانية عشر سنة حين أرسله رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاضياً على أهل اليمن. وقيل: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تركه بمكة يفقه أهلها. للمزيد.

(٥١) الكافي: ج ٨ ص ٩٣ حديث الرياح ح ٦٦.

وهناً بادرت بوصيتي إليك، وأوردت خصالاً منها، قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي، أو أن أنقص في رأبي كما نقصت في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا؛ فتكون كالصعب النفور، وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبك؛ لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه» (٥٢).

طاقات الشباب

عندما يمر الإنسان بمرحلة الشباب تتفجر طاقاته العقلية والبدنية وتتفتق مواهبه، وكل ذلك يؤهله ويشجعه لكي يقوم بدور ما في المجتمع. فإذا فسحنا المجال للشباب لأن يمارس دوراً اجتماعياً، ووجهناه الوجهة المناسبة والملائمة له للقيام بدور صالح مفيد في المجتمع، يساعده على بناء شخصيته، وينمي فيه كفاءاته، ويزوده بالخبرة الاجتماعية، نكون قد أحسننا الاستفادة من ملابسات مرحلة الشباب ومميزاتها.

وإن لم نهتم بهذه المسألة، ولم نفسح المجال للشباب في ممارسة رغبته المشروعة بأداء دور اجتماعي ضمن توجيه صالح، فستكون النتيجة أحد أمرين: إما أن تخدم طاقات الشباب وتقتل مواهبه وتدفن طموحاته، وإما أن يبادر إلى ممارسة أدوار منحرفة ويقوم بأعمال فاسدة. لذا يلزم تعليمهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، وفي هذا قال الإمام الباقر (عليه السلام) : «لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته» (٥٣).

لا لقياس العمر

لعل أكثر المجتمعات الحالية . وهذا ما يؤسف له . بما في ضمنها بعض المجتمعات الإسلامية ما زالوا يقيّمون الإنسان بمقياس العمر والزمن... وما دام الشباب لم يقطعوا من الحياة إلا مسافة قصيرة فإن مجتمع الكبار لا ينظر إليهم نظرة ثقة واحترام . في بعض الأحيان .

(٥٢) نهج البلاغة، الكتب: ٣١ من وصية له، للحسن بن علي عليه السلام...

(٥٣) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢١٤ ب ٦ ح ١٦.

ولا يفسح لهم مجال التحرك والنشاط، على العكس من المقياس الذي اتخذه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في حياته الشريفة، فقد أعلن (صلى الله عليه وآله) رفض الإسلام لمقياس العمر والسن، وجعل المقياس الصحيح هو التقوى والعمل والكفاءة والقدرة على الإبداع، فكان (صلى الله عليه وآله) يختار من بين أفراد المجتمع الإسلامي الطاقات المتفجرة، ويوليهم إدارة وقيادة المسلمين.

فقد ولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عتاب بن أسيد^(٥٤) على مكة وعمره ثمانية عشر سنة، حيث روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: «لما بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بمكة وأظهر بها دعوته، ونشر بها كلمته، وعاب أديانهم في عبادتهم الأصنام، وأخذوه وأسأؤوا معاشرته، وسعوا في خراب المساجد المبنية كانت لقوم من خيار أصحاب محمد وشيعته وشيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام). كان بفناء الكعبة مساجد يحيون فيها ما أماته المبطلون، فسعى هؤلاء المشركون في خرابها، وأذى محمد (صلى الله عليه وآله) وسائر أصحابه، وأجأوه إلى الخروج من مكة إلى المدينة، التفت خلفه إليها فقال: الله يعلم أني أحبك، ولولا أن أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بلداً، ولا ابتغيت عنك بدلاً، وإني لمغتم على مفارقتك. فأوحى الله تعالى إليه: يا محمد، إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول: سأردك إلى هذا البلد ظافراً، غانماً، سالماً، قادراً، قاهراً، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾^(٥٥) يعني: إلى مكة ظافراً غانماً.

وأخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه، فاتصل بأهل مكة فسخرها منه، فقال الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله): سوف أظهرك بمكة، وأجري عليهم حكمي، وسوف أمنع عن دخولها المشركين حتى لا يدخلها منهم أحد إلا خائفاً، أو دخلها مستخفياً من أنه إن عثر عليه قتل. فلما حتم قضاء الله بفتح مكة واستوسقت له، أمر عليهم عتاب بن أسيد، فلما اتصل بهم خبره قالوا: إن محمداً لا يزال يستخف بنا؛ حتى ولى علينا غلاماً حديث السن ابن ثماني عشرة سنة، ونحن مشايخ ذوو الأسنان، خدام بيت الله الحرام وجيران حرمه الأيمن، وخير بقعة له على وجه الأرض.

(٥٤) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، بن عبد مناف بن قصي، وأمه زينب وقيل: أروى، بنت أبي عمرو

بن أمية بن عبد شمس أسلم يوم فتح مكة.

(٥٥) سورة القصص: ٨٥.

وكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعتاب بن أسيد عهداً على أهل مكة، وكتب في أوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى جيران بيت الله وسكان حرم الله، أما بعد:

فمن كان منكم بالله مؤمناً، وبمحمد رسول الله في أقواله مصدقاً، وفي أفعاله مصوباً، ولعلي أخي محمد رسوله وصفيه ووصيه وخير خلق الله بعده موالياً، فهو منا وإلينا. ومن كان لذلك أو لشيء منه مخالفاً، فسحقاً وبعداً لأصحاب السعير، لا يقبل الله شيئاً من أعماله وإن عظم وكثر، ويصليه نار جهنم خالداً مخلداً أبداً. وقد قلد محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عتاب بن أسيد أحكامكم ومصالحكم، قد فوض إليه تنبيه غافلكم، وتعليم جاهلكم، وتقويم أود مضطربكم، وتأديب من زال عن أدب الله منكم؛ لما علم من فضله عليكم من موالة محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن رجحانه في التعصب لعلي ولي الله، فهو لنا خادم، وفي الله أخ، ولأوليائنا موال، ولأعدائنا معاد، وهو لكم سماء ظليلة، وأرض زكية، وشمس مضيئة، وقمر منير، قد فضله الله تعالى على كافتكم بفضل موالاته ومحبتة، لمحمد وعلي والطيبين من أهما. وحكمته عليكم، يعمل بما يريد الله فلن يخليه من توفيقه، كما أكمل من موالة محمد وعلي شرفه وحظه، لا يؤامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يطالعه، بل هو السديد الأمين، فليعمل المطيع منكم، وليف بحسن معاملته، ليسر بشريف الجزاء، وعظيم الحباء، وليوفر المخالف له بشديد العقاب، وغضب الملك العزيز الغلاب. ولا يحتاج محتج منكم في مخالفته بصغر سنه؛ فليس الأكبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأكبر، وهو الأكبر في موالاتنا وموالة أوليائنا ومعاداة أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير لكم والرئيس عليكم، فمن أطاعه فمرحبا به، ومن خالفه فلا يبعد الله غيره.

قال: فلما وصل إليهم عتاب، وقرأ عهده، وقف فيهم موقفاً ظاهراً، ونادى في جماعتهم حتى حضروه، وقال لهم: معاشر أهل مكة إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رماني بكم شهاباً محرقةً لمنافقيكم، ورحمة وبركة على مؤمنكم، وإني أعلم الناس بكم وبمنافقيكم، وسوف آمركم بالصلاة فيقام لها، ثم أتخلف أراعي الناس، فمن وجدته قد لزم الجماعة التزمت له حق المؤمن على المؤمن، ومن وجدته قد قعد عنها فتشتته، فإن وجدت له عذراً أعذرتة. إلى أن

قال . فأما بعد، فإن الصدق أمانة، والفجور خيانة، ولن تشيع الفاحشة في قوم إلا ضربهم الله بالذل، قويكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، وضعيفكم عندي قوي حتى آخذ له الحق، اتقوا الله وشرفوا بطاعة الله أنفسكم، ولا تذلوها بمخالفة ربكم.

ففعل والله كما قال، وعدل وأنصف وأنفذ الأحكام، مهتديا بهدى الله، غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة» (٥٦) .

نعم، حينما نطالع سيرة قادة الإسلام وتاريخهم المشرف، نراهم يتعاملون مع الشباب بتشجيع واحترام، ويمنحون ذوي الكفاءة منهم ثقة عظيمة، ويحملونهم مسؤوليات خطيرة.

الرسول (صلى الله عليه وآله) يعين أسامة قائداً للجيش

كذلك في آخر حياة النبي (صلى الله عليه وآله) الشريفة هياً جيشاً كبيراً فيه أكابر الصحابة وشيوخ المسلمين لحرب الروم، وجعل قيادة ذلك الجيش لتلك المعركة الخطيرة، بيد أسامة بن زيد (٥٧)، وهو شاب لم يبلغ العشرين من العمر... وقد كان من ضمن الجيش الخاضع لقيادة أسامة الشاب: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة والزبير... وأمثالهم. وقال (صلى الله عليه وآله) مكرراً: «أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة» (٥٨) .

وقد ذكر المؤرخون أن أسامة كان ذكياً منذ صغره ومقدماً، وكان عمره اثني عشرة سنة عندما تقدم للتطوع في غزوة أحد.

(٥٦) راجع تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) : ص ٥٥٤ ح ٣٢٩ .

(٥٧) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل بن عبد العزى بن أمراء القيس الكلبى، أبوه زيد يقال له: حب رسول الله ويكنى أبا أسامة، وأمه سعدى بنت تغلبة بن عبد عمرو، وأما أسامة بن زيد فيكنى أبا محمد ويقال له: أبا زيد، وكان يقال له أيضاً: حب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابن حبه. روي إنه (صلى الله عليه وآله) قال: «أسامة أحب الناس إلي». ومرو به (صلى الله عليه وآله) بين الصبيان في قفوله من بدر، فنزل إليه وقبله واحتمله، ثم قال: «مرحبا ببحي وابن حبي». وكان عمره يوم مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشرين سنة، وقيل: ثماني عشرة، وقيل: تسع عشرة سنة. انظر الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ص ٤٣٧ ب ٢ أسامة بن زيد.

(٥٨) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٤٣٠ ب ٢٢ .

موقعة حنين

وهكذا كان الشباب المؤمنون لهم الدور البارز في التاريخ الإسلامي. ففي موقعة حنين حينما انهزم جيش المسلمين لم يثبت إلا النبي (صلى الله عليه وآله) وعشرة من المسلمين، كان أحد أولئك الثابتين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعض أولاد العباس، فقد روي: لما كانت غزوة حنين، فاستظهر فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكثرة الجمع فخرج ومعه عشرة آلاف من المسلمين، فظن أكثرهم أن لن يغلبوا؛ لما شاهدوا من كثرة جمعهم وعددهم وعدتهم، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ فقال: لن يغلب اليوم من قلة، فكان الأمر بخلاف ما ظنوه وعانهم أبو بكر، فلما التقوا لم يلبثوا وانهزموا بأجمعهم، ولم يبق مع النبي (صلى الله عليه وآله) إلا تسعة من بني هاشم وعاشرهم أيمن ابن أم أيمن وقتل رحمه الله، وثبت التسعة الهاشميون ورجعوا بعد ذلك وتلاحقوا وكانت الكرة لهم على المشركين، فأنزل الله في إعجاب أبي بكر بالكثرة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٩) يريد عليا (عليه السلام) ومن ثبت معه من بني هاشم: أمير المؤمنين (عليه السلام) وثمانية: العباس بن عبد المطلب عن يمين رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ والفضل بن العباس عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند نفر بغلته، وأمير المؤمنين بالسيف بين يديه، ونوفل بن حرث، وربيعة بن الحرث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب حوله (٦٠).

(٥٩) سورة التوبة: ٢٥-٢٦.

(٦٠) انظر كشف الغمة: ج ١ ص ٢٢١ ذكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبي غير بني هاشم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة ورهط فهم يهتفون بالناس أيمن
ثم قاموا مع النبي على الموت فأبوا زينا لنا غير شين
وثوى أيمن الأمين من القوم شهيدا فاعتاض قرة عين

وقال العباس بن عبد المطلب في هذا المقام:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قدر عنه فاقشعوا

مصعب بن عمير

كانت الأخلاق التي يحملها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لها الأثر البالغ والمشجع على دخول الناس في الإسلام، وكما وصفه الباري في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٦١). وكان من ضمن هؤلاء الذين تأثروا بأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاعتنقوا الإسلام الشاب (مصعب بن عمير)^(٦٢)، فقد تأثر بأخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله) والصفات الحميدة التي يحملها تأثراً كبيراً، وانجذب إليها انجذاباً شديداً، دون أن يبالي بردود الفعل التي سيواجهها من قومه، وهذه هي طبيعة الشباب الذين يمتلكون الصفاء الروحي.

بينما بعض كبار السن قد لا يؤمل منهم ذلك؛ لكونهم كبروا في الأجواء الفاسدة، بحيث يصعب قلع تلك الحالات والصفات التي انغrust في نفوسهم.

فمصعب (رضوان الله عليه) ذلك الشاب الذي تمتع بصفاء روحي، اعتنق الإسلام بكل روحه وجوانحه، ولم يبالي بما سيحدث له من المشاكل والضغط بسبب ذلك التعصب الجاهلي الذي كان والداه يحملانه. ففي بداية إسلامه أخفى دينه، وكان مجبراً على ذلك؛

وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه على القوم أخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع

يعني به أيمن ابن أم أيمن...

(٦١) سورة القلم: ٤.

(٦٢) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدي، أحد السابقين إلى الإسلام، كنيته أبو عبد الله. كتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فعلمه عثمان بن طلحة فأعلم أهله، فأوثقوه، فلم يزل محبوساً إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا، ثم شهد أحدًا ومعه اللواء، فاستشهد بأحد. روي: كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجود حلة مع أبيه. وروي: رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مصعب بن عمير في بردة مرقوعة بفروة فبكى (صلى الله عليه وآله)؛ للذي كان فيه من النعمة ولما صار إليه. وقيل: إن مصعباً لم يترك إلا ثوباً، وعند استشهاده كان إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا رجله خرج رأسه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اجعلوا على رجله شيئاً من الأذخر».. بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع الاثني عشر أهل العقبة الثانية ليفقه أهل المدينة وليقرأهم القرآن. وهو أول من جمع الجمعة في المدينة. أسلم على يديه سعد بن معاذ، كان عمره أربعين سنة حين استشهد، زوجته حمنة بنت جحش. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٦ ص ٩٨.

لكون الذين أسلموا قبله كانوا يلاقون أنواع الأذى والعذاب من مشركي قريش وأتباعهم. وفي أحد الأيام وعندما كان يصلي، وإذا بأحد المشركين يشاهده وهو في حالة الصلاة، فأخذ ذلك المشرك ينقل ما شاهده من ذلك المشهد - العجيب في نظره - إلى والدي مصعب، فلما سمعا بذلك الخبر وتيقنا بأن ولدهما قد دخل في الدين الجديد، الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) تألما كثيراً؛ لكونهما كانا يصفان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بالاتهامات والأكاذيب الباطلة، فكيف الآن وهما يريان ولدهما قد انضم إلى دين ذلك الرجل الذي كانا يتهمانه بالأباطيل ومختلف التهم.

فقاما بنصحه بترك هذا الدين، وعدم الالتقاء بالرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولكن ولدهم الشاب لم يتزلزل إيمانه، فأخذ يفكران بطريقة أخرى عليهما يجعلان مصعباً بعيداً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فسجناه وحرماه من كل النعم والملذات التي كان فيها، ولكنه لم يبال ولم يتنازل عن عقيدته التي تمسك بها، وكان مستعداً لأن يضحي حتى بنفسه في سبيل إيمانه.

رسول الرسول ص

في أحد الأيام جاء رجلان من قبيلة الخزرج إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان أحدهما يسمى: ابن زرارة، والثاني: عبد قيس، وقد أقبلا من المدينة فدخلوا مكة على حين غفلة من أهلها الذين كان أكثرهم كفاراً، فلما حضرا عند الرسول (صلى الله عليه وآله) أوضحا له بأنهما يريدان إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة بينهم وبين القبائل الأخرى، والتي دامت أكثر من مائة سنة، فعرض عليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإسلام، فأسلما، ثم طلبا من الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يرسل معهما إلى المدينة شخصاً من المسلمين ليدعو أهل المدينة إلى الإسلام، وبالفعل استجاب الرسول (صلى الله عليه وآله) لطلبهما، فأرسل معهما مصعب بن عمير إلى المدينة.

وكان في المدينة آنذاك ما يقارب العشرة آلاف نسمة، وكانت معيشتهم قاسية، حيث كان اقتصادهم يعتمد على الزراعة فقط، وبالإضافة إلى ذلك كان اليهود يمتلكون قدرة كبيرة من الناحية الاقتصادية، علاوة على ما طبعوا عليه من نشر المفاسد الأخلاقية والجنسية كيفما شاؤوا، أينما حلوا وارتحلوا، وذلك لجلب الناس إليهم، لتكون لهم السيادة عليهم.

فبسبب هذه الظروف الشديدة كان يمكن لمصعب (رضوان الله عليه) أن يختار القرى المجاورة للمدينة، لينطلق منها في عمله التبليغي بدل المدينة، ولكن مع هذا نراه يذهب إلى المدينة، ويجعلها محطته الأولى في عمله الرسالي، متحملاً المصاعب الجسام؛ كل ذلك في سبيل الله تعالى، ولكونه قد آمن بالإسلام، ومن آمن بالإسلام والعقيدة الصالحة حق الإيمان فإنه يبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس، وتسهل أمامه الصعوبات والمهمات.

دخل مصعب المدينة، وكأنه رحمة من الله قد نزلت على أهلها، وبالفعل كان مصعب رحمة لهم، وذلك لما يحمل في نفسه من نفحات الإيمان والهدى، مضافاً إلى جمال سيرته وصورته وصوته، فأخذ يدعو الناس إلى الإسلام، فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، مبيناً لهم خصائص وامتيازات الدين الجديد، فكان الناس يجتمعون عنده ويسلمون على يديه. وكلما كانت تخرج جماعة منه إلا وتأتي جماعة أخرى، حتى أنه لم يبق بيت في المدينة إلا وقد دخله الإسلام؛ وذلك الإقبال الكبير من قبل أهالي المدينة على الإسلام يرجع إلى أنهم كانوا يمتلكون نفوساً طيبة وصافية، فاستطاع مصعب الشاب أن ينفذ إلى نفوسهم، وأن يُدخل في قلوبهم الإيمان بسرعة، بالإضافة إلى عمله الدؤوب وقدرته على إدارة الأمور، وامتلاكه للأخلاق العالية، كل هذه الأمور أدت بأهل المدينة لأن يختاروا الإسلام على معتقداتهم القديمة.

وهكذا ذهبت الأحقاد والأضغان التي كانت في قلوبهم فيما بين الأوس والخزرج، وذلك بسبب توجههم الإيماني، كما قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَالِمِ الْغُيُوبِ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (٦٣).

فقد ورد: إن المراد ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة، إلى أن أَلَّفَ اللهُ بين قلوبهم بالإسلام، فزالَت تلك الأحقاد (٦٤).

واستطاعوا أن يحفظوا الكثير من الآيات المباركة والسور القرآنية، وكانوا يصلون جماعة في

(٦٣) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٦٤) انظر مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٥٧ سورة آل عمران. وقد اشتهرت تلك الحروب بين الأوس والخزرج حتى كانت لها أيام مشهورة عند العرب، منها: يوم الصفينة، وهو أول يوم جرت الحرب فيه، ويوم السرارة، ويوم وفاق بني خزيمة، ويوم حاطب بن قيس، ويوم حضير الكتائب، ويوم أطم بني سالم، ويوم أبتروة، ويوم البقيع، ويوم مضرس ومعيس، ويوم الدار، ويوم بعث الآخر، ويوم فجار الأنصار. وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تعرف أيامهم بها ويقتتلون قتالاً شديداً. انظر موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي: ص ٤٥.

صفوف متراصة، وإذا ما ظهر أحد يحتاج إلى مساعدة ومعونة كانوا يسعون لقضاء حوائجه، وكانت حالة الصفاء والتقوى والعلم هي المعيار والمقياس الأساسي الذي يتميز به الأشخاص.

استشهاد مصعب بن عمير

شارك مصعب بن عمير مع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في معارك كثيرة وكان فارساً شجاعاً لا يهاب شيئاً، وآخر معركة شارك بها مع الرسول (صلى الله عليه وآله) هي معركة أحد، وكان ممن حمل الراية في يوم أحد، وعندما نشبت المعركة، واشتد القتال بين المعسكر الإسلامي ومعسكر المشركين، شعر مصعب بأن الشهادة قد اقتربت إليه وكان يتمنى ذلك اليوم الذي يستشهد فيه في سبيل الله؛ ولهذا فإنه توجه إلى الله تعالى ودعاه بأن لا تسقط الراية من يده حتى بعد استشهاده، وبالفعل قد استجاب دعاءه فعندما حان وقت استشهاده، وكانت المعركة قد ألهبت نيرانها، بعث الله عزوجل ملكاً من الملائكة إلى الأرض، وكان هذا الملك قد نزل وهو في صورة مصعب بعد أن سقط مصعب شهيداً على الأرض، فأخذ الملك الراية من يد مصعب وحملها إلى أن انتهت الحرب.

وبعد أن خمد لهيب الحرب سأل النبي (صلى الله عليه وآله) عن أحوال مصعب؟ فأجابه المسلمون بأنه ما زال على قيد الحياة، وأنه ما زال يحمل الراية بيده فلم تسقط الراية من يده منذ بداية الحرب إلى انتهائها، فطلب النبي (صلى الله عليه وآله) أن يحضره عنده، عندها تقرب الملك الذي نزل بصورة مصعب قائلاً: «يا رسول الله إني ملك من الملائكة جئت بأمر الله عزوجل وحملت الراية بدلاً من مصعب؛ لأن مصعب قبل أن يستشهد دعا ربه بأن لا تسقط الراية من يده، فاستجاب له ربه فأمرني أن أهبط إلى ساحة المعركة، وأحمل الراية بدلاً من مصعب» هذا حسب بعض التواريخ، وفي بعض الروايات روي: إن مصعب عندما استشهاد أعطى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) اللواء إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٦٥).

(٦٥) انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٤٤ ب ١٢ ح ٥١. وروي: أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللواء مصعب بن عمير يوم أحد فاستشهد ووقع اللواء من يده، فتشوفته القبائل، فأخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودفعه إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فجمع له الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم. انظر إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ١٩٢ الركن الثاني ب ٤ ف ٢.

ذو البجادين

كان عبد الله ذو البجادين^(٦٦) شاباً من إحدى القبائل القاطنة في أطراف المدينة المنورة، مات أبوه - رئيس القبيلة - وتولى الرئاسة عمه الذي كانت له بنت جميلة وكان صاحب ثروة عريضة وزعامة على القبيلة. هذا الشاب كان مرشحاً لأن يكون زوجاً للفتاة، وأن يرث الزعامة والمال والمكانة الاجتماعية المميزة بعد عمه.

كان هذا الفتى يذهب إلى المدينة كل شهر لأجل شراء ما تحتاجه القبيلة، وذات مرة وأثناء جولته في المدينة رأى رجلاً يخطب في ساحة تحيط بها جدران أربعة على مجموعة من الناس، وقف يسمع، جذبته الخطبة، سأل رجلاً: من الخطيب، ومن المستمعون؟ أجابه الرجل: الخطيب، محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والجالسون هم المسلمون، وهذا المحوطة مسجد بناه المسلمون.

رجع الشاب إلى قبيلته، وفي الشهر التالي عاد إلى المدينة للاشتراء وذهب إلى المسجد للاستماع، وفي المرة الثالثة والرابعة كان يحس بأنه ينجذب أكثر فأكثر نحو هذا النبي العظيم (صلى الله عليه وآله) .

وفي أحد الأيام خاطب عمه قائلاً: يا عم، لماذا نشترى كل شهر مرة، فلنشتر كل أسبوع مرة؛ حتى تكون البضائع والمواد التي نشترها جديدة، وقبل العم، وهكذا أصبح باستطاعة الشاب أن يستمع إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) كل أسبوع مرة واحدة، وبعد مدة أسلم الشاب، فجاء إلى عمه قائلاً: يا عم، قد أسلمت.

فقال العم: أصبوت إلى دين محمد؟

قال: إن دين محمد (صلى الله عليه وآله) هو الإسلام لا انحراف فيه.

قال العم: يا بني لو أصررت على إسلامك فلن أزوجك ابنتي.

أجابه الشاب: هذا هين، لا رغبة لي في النساء.

قال له العم: وسوف أمنعك من دخول بيتي.

^(٦٦) عبد الله بن عبد نهم بن عفيف المزني، صحابي راجز، كان دليل النبي (صلى الله عليه وآله) في بعض الغزوات. وحدا بناقته في غزوة تبوك، ومات في تلك الغزوة. ويقال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) لم ينزل في قبر أحد إلا خمسة، منهم عبد الله المزني ذو البجادين. وقيل: كان يلبس كساءين في بعض أسفاره. الأعلام للزركلي: ج ٤ ص ١٠١.

أجابه الشاب: إن ذلك سهل، فارض الله واسعة.

قال له عمه: سأحرمك من الثروة.

أجابه: إن الثروة مال فانٍ وزائل.

فقال: ستحرم عن رئاسة القبيلة.

أجابه الشاب: إنني لا أريد الزعامة.

فقال له عمه: يجب عليك أن تنفصل عن قبيلتنا.

أجابه: سوف أخرج.

فقال له العم: وعليك أن تنزع كل ملابسك وتعطيها لي.

أجابه: لا بأس.

فجرده عمه القاسي من كل ملابسه وتركه عارياً، ولما رآته أمه عارياً أشفقت عليه وأعطته بجاداً^(٦٧) شقّه نصفين، وجعل نصفه إزاراً والنصف الآخر مئزرًا ولبسهما، ثم اتجه نحو المدينة المنورة ووصلها ليلاً. وليس معه أي شيء. واتجه نحو المسجد ونام الليل فيه، وعندما جاء الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى صلاة الصبح، رأى شاباً غريباً فسأله: «من أنت؟».

فذكر له الشاب اسمه الجاهلي: عبد العزى.

فقال له الرسول: «إن اسمك هو عبد الله ذو البجادين».

وبدأ الشاب يأتمر بأوامر الإسلام وكان من خيرة المسلمين حتى استشهد في إحدى المعارك.

فما الذي غير شخصية عبد الله ذي البجادين، وأحدث انقلاباً في ضميره؟

إن الذي تغير في هذا الشاب هو معرفته بالدين الجديد العظيم، الذي تنجذب إليه النفوس البريئة والنظيفة غير المتطبعة على الانحراف.

الشباب والعمل التنظيمي

وهنا لا بأس بالإشارة إلى نقطة مهمة في أمر الشباب، وذلك من باب التذكرة، قال

(٦٧) كساء من أكسية العرب مخطط.

تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦٨) ، لذا فمن الضروري العمل بذلك في سبيل إنقاذ المسلمين وهو:

تنظيم الشباب

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لولديه الإمامين الحسن المجتبي والحسين الشهيد (صلوات الله عليهما): «أَوْصِيَكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ»^(٦٩) .

لابد للمسلمين من التنظيم؛ إذ عليهم أن يؤسسوا تنظيمات صالحة لكي تقوم بتنظيم الشباب ورعايتهم، لأنهم إذا لم يفعلوا ذلك فسيأتي غيرهم من مروجي الأحزاب الفاسدة والمنحرفة، فينظمهم ويرسخ في أذهانهم أفكار منحرفة ومزيفة، وقد تكون أساساً أحزاباً ضد الإسلام، وهذا ما شاهدناه بالفعل في بعض بلادنا^(٧٠) .

فإن الشاب يمتلك آماني وطموحات وأهداف كبيرة، وهو يبحث الخطى في أغلب الأحيان لتحقيقها، وكذلك عنده حاجيات ومتطلبات، يحاول ويجهد نفسه أن يقضيها. لذا فمن الضروري أن نهتم بتنظيم الشباب تنظيماً حسب الموازين العلمية والشرعية، وحسب متطلبات العصر^(٧١) .

ويلزم أن يكون التنظيم عملياً بكل أبعاده، في خلاياه الحزبية والسياسية والثقافية والاجتماعية، فمثلاً: يلزم التأكيد على أهداف ومبادئ مهمة أكد عليها الإسلام، منها: مبدأ الحرية، حيث قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٧٢) .

(٦٨) سورة الذاريات: ٥٥ .

(٦٩) نهج البلاغة، الكتب: ٤٧ من وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام) .

(٧٠) كما حصل في العراق وأفغانستان وما أشبه؛ حيث روجوا فيهما لأحزاب وأفكار عديدة كالقومية والشيوعية والبعثية والاشتراكية والرأسمالية وغيرها، وهي أحزاب ومبادئ منحرفة عن الإسلام وتهدف إلى التخلي عن الإسلام تحت مسميات عديدة، وتنعت الملتزمين به بالرجعيين والمتخلفين، وما إلى ذلك.

(٧١) للتفصيل انظر كتاب (نحو يقظة إسلامية) للإمام الراحل (أعلى الله مقامه) والفقهاء، كتاب الدولة الإسلامية: ص ٨٩ الاهتمام بالشباب.

(٧٢) سورة الأعراف: ١٥٧ .

ومبدأ الأمة الواحدة؛ حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٧٣) وقال عزوجل: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٧٤) .
ومبدأ الأخوة؛ حيث قال عزوجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٧٥) .

كما يجب التأكيد على ترسيخ مبدأ اللاعنف والرفق . الذي هو من صميم الإسلام . في صفوف التنظيم وبين الشباب المسلم، فقد قال الله تعالى:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٧٦) .

وورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، و لا نزع من شيء إلا شانه»^(٧٧) .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن لكل شيء قفلاً وقفل الإيمان الرفق»^(٧٨) .
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق، فمن رفق به عباده تسليله أضعافهم، ومضادتهم لهوهم وقلوبهم، ومن رفق بهم أنه يدعهم على الأمر يريد إزالتهم عنه رفقا بهم؛ لكيلا يلقي عليهم عرى الإيمان ومثاقلته جملة واحدة فيضعفوا، فإذا أراد ذلك نسخ الأمر بالآخر فصار منسوخاً»^(٧٩) . لذا يلزم زرع هذه المبادئ في نفوسهم، والتعاون على تطبيقها.

وكذلك يلزم العمل على ترسيخ مبدأ عدم وجود الحدود الجغرافية فيما بين البلاد الإسلامية، ولأنه مبدأ الإصلاح الحكيم، فيلزم عليهم أن يغيروا المحيط الفاسد بما يقتضيه الشرع، لا أن ينخرطوا في المحيط ويدوبوا فيه فإنه تبارك وتعالى قال: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٨٠) .

(٧٣) سورة الأنبياء: ٩٢ .

(٧٤) سورة المؤمنون: ٥٢ .

(٧٥) سورة الحجرات: ١٠ .

(٧٦) سورة فصلت: ٣٤ . ٣٥ .

(٧٧) الكافي: ج ٢ ص ١١٩ باب الرفق ح ٦ .

(٧٨) الكافي: ج ٢ ص ١١٨ باب الرفق ح ١ .

(٧٩) الكافي: ج ٢ ص ١١٨ باب الرفق ح ٣ .

(٨٠) سورة الأنبياء: ٩٢ .

من لوازم التنظيم

إذا كان التنظيم يتوقف على السرية والكتمان؛ لبعض الظروف التي تعيشها البلاد الإسلامية من سيطرة الطغاة والدكتاتوريين فلا بأس بذلك، فإنه يلزم أن يكون الأمر سراً فيما يقتضي السرية، فقد ورد في الحديث الشريف: «واستعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان»^(٨١)

ومن الواضح أن في حياة الإنسان . فرداً وجماعة . أسرار خاصة وعلاقات متميزة، لا يجب أو لا يصلح أن يطلع عليها أحد من الناس، فإنه لا تخلو حياة الإنسان من أسرار ذات علاقة بعائلته ورزقه وعمله وعيشه، فحياة الإنسان مهما كانت جليّة وواضحة، منطوية . عادة . على أمور من الأفضل أو اللازم أن لا يطلع عليها أحد، وقد قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَسْرَرْنَا النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾^(٨٢) الآية.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد الحرب أخفى توقيتها؛ حتى لا يعرف العدو فيأخذ حيطته وحذره فتكون الحرب أشد، أو قد تسبب خسارة المسلمين للحرب وبالتالي وقوع عدد كبير من الضحايا. وقد كان (صلى الله عليه وآله) أخفى نية فتحه لمكة المكرمة؛ وذلك حذراً من إراقة الدماء في قصة مفصلة دونها التاريخ^(٨٣) .

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحُوفِ أَدَاعُوا بِهِ وَكَوُزُودُهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٨٤) .

وهكذا نجد أن السرية في الجملة لازمة بالنسبة إلى أمثال هذه الأمور في العديد من المؤسسات على تباين أعمالها واختلاف تخصصاتها، سواء المؤسسة الكبيرة المديرية التي تسمى بالحكومة أو الحزب الحاكم، أو المؤسسة الصغيرة. فإنه للمخترعين والمكتشفين أسرار يجب أن تُصان ويلجئوا لحمايتها بأخذ حق الاختراع؛ حتى لا يسطو عليه أحد ولا يدعيه

(٨١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٢٧ باب ما جاء في الحسد.

(٨٢) سورة التحريم: ٣.

(٨٣) انظر بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠١ ب ٢٦ وفيه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اللهم خذ العيون والأخبار عن

فريش حتى نبغتها في بلادها»، وراجع أيضاً كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) .

(٨٤) سورة النساء: ٨٣.

آخرون. وكذلك أسرار في الصحافة ودور النشر والتوزيع وما أشبه، حيث يسعى أصحابها إلى كتمانها حرصاً على حمايتها من التراجع والتأخر، وهكذا المؤسسات الهندسية ومكاتب التعهدات والمؤسسات التجارية التي ينافسها غيرها في السوق، بل وحتى للطهاة والطباخين وصانعي الحلويات وما أشبه أسرارهم الخاصة، كما يُشاهد أيضاً أن للمرضى أسراراً عند أطبائهم لا يحبّون أن يطلّع عليها أحد.

فيصح إذن أن يكون للتنظيم الذي يدار من جهة القيادة الصحيحة الشرعية أسرارها الخاصة في حقولهم المختلفة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وليس معنى ذلك أنهم يريدون الإيقاع بالآخرين أو المؤامرة على الدولة، أو ما أشبه ذلك.

من هم قادة الشباب ؟

ثم إن اللازم على التنظيم أن يقدم للشباب قادة صلحاء فيلزم أن يكون التنظيم بيد القادة الناضجين الذين يخافون الله عزوجل واليوم الآخر، ويحبّون الناس شيوخاً وشباباً، ويسعون في هدايتهم إلى الخير، فإن هذا من أهم ما يلزم تأسيسه لإدارة أمور الشباب، وبذلك يتمكنون من اطّراد العمل الصالح باستقامة وتقدم وعلو، فإن: «يد الله مع الجماعة»^(٨٥) والقوى إذا اجتمعت بعضها إلى بعض تأتي بشبه المعجز في السعة والعلو والعمق، كما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في آخر وصية له:

«أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم»^(٨٦) ، وقبل ذلك قال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾^(٨٧) .

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق من الذرة، أو الأصغر منها، إلى الحجر أو الأكبر منها بكل دقة وتنظيم ووزن، حتى أن الأمر إذا زاد أو نقص عن حده التكويني أو التشريعي أوجب اضطراباً متزايداً أو في الجملة.

والإنسان إذا رأى النملة الصغيرة جداً يرى الموزونية الشاملة والنظم الدقيق في جميع أعضائها وجوارحها ومتطلباتها وشهواتها، فإذا كانت رجلها - مثلاً - عوجاء ناقصة أوجبت لها

(٨٥) انظر (الرسالة السعدية) للعلامة الحلي: ص ١٥٥ ق ٣، ثالثاً في العدل واصطناع المعروف.

(٨٦) نصح البلاغة، الكتب: ٤٧ من وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام).

(٨٧) سورة الحجر: ١٩.

تعرجاً واضطراباً ، وهكذا، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٨٨) .

القائد الناجح والشباب

نقل لي أحد المراجع عن قائد ثورة العشرين الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمه الله)^(٨٩) فقال: إن الإمام الثائر قد التفت حول الجماهير التفافاً عجبياً، الشيوخ والعشائر، الكبار والصغار، ضد بريطانيا الغاصبة، وكان وراء بريطانيا في ذلك اليوم أكثر من ألف مليون إنسان . الهند بكاملها والصين والشرق الأوسط ومناطق أخرى من أفريقيا وغيرها . لكن هذا القائد الإسلامي المحنك تمكن أن يطرد الاستعمار البريطاني من العراق . وكان الازدحام هائلاً حول الميرزا محمد تقي الشيرازي، ومن الطبيعي أن المرجع وعمره الكبير لا يتمكن أن يجمع بين قيادة الثورة المتأججة؛ فهو كالقائد في ميدان المعركة المشتعلة، وبين تلبية حوائج الناس، فقال لنا . نحن معاصر الطلبة . وكنا في مقتبل العمر ذلك اليوم:

أيها الطلبة، إني قبل الثورة كنت أتمكن من قضاء حوائجكم شخصياً، وأما بعد الثورة فإني مشغول بالمسؤوليات، ولا أتمكن من قضاء حوائجكم فرداً فرداً، كما أنكم لا تتمكنون أن تصلوا إليّ للازدحام الذي حولي، فإذا كانت لأحدكم حاجة فإني في كل يوم بعد صلاة الصبح أخرج إلى الشوارع المحيطة بأطراف كربلاء المقدسة، فيتمكن كل طالب علم أو أي شخص آخر يريد لقائي على انفراد، أن يأتي في ذلك الوقت لأقضي حاجته.

فهذا العالم . الراوي للقصة . يقول: إني شخصياً ذهبت إليه مرات عدة وعندني حاجة مادية أو معنوية، وكنت أرى الشيخ يمشي وحده، على النهر أو في الشارع المحاط بالأشجار،

(٨٨) سورة المؤمنون: ١٤ .

(٨٩) الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية، ولد بشيراز عام (١٢٥٦هـ) ونشأ في الحائر الشريف، فقرأ فيه الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، فهاجر إلى سامراء في أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازي حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه الجليل تعين للخلافة بالاستحقاق والأولوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء . ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى الخطيرة التي أقامت العراق وأعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس . وكان أفتى من قبل بجرمة انتخاب غير المسلم . وكان العراقيون طوعاً وإرادته لا يصدر عن رأيه، وكانت اجتماعاتهم تعقد في بيته في كربلاء مرات عدة . توفي (قده) في الثالث عشر من ذي الحجة عام (١٣٣٨هـ) ودفن في الروضة الحسينية المطهرة، ومقبرته فيها مشهورة . راجع طبقات أعلام الشيعة، نباء البشر: القسم الأول ج ١ ص ٢٦١ الرقم ٥٦١ .

وأحياناً يذهب إليه فقير أو طالب أو جماعة لأخذ حاجاتهم وهكذا. فهذا الإمام الأسوة والقائد الأعلى للمسلمين في ذلك اليوم كان يعطي بعض وقته لفرد فرد من أفراد الأمة ويقضي حاجاتهم، مما سبب النفاق الجماهير حوله وطاعته بمختلف فئات المجتمع خاصة شبابهم، وهو سبب تمكنه من طرد بريطانيا من بلد المقدسات العراق، وإنما تمكّن من ذلك للمحبوبية المنقطعة النظير التي اكتسبها جراء أخلاقه الطيبة وجماهيريته الواسعة.

فاللازم على المجتمع الإسلامي أن يسعى بكل جهده للاهتمام بمتطلبات الشباب ورغباتهم المشروعة؛ والتي منها إيجاد التنظيمات الصالحة، إذ أن الشاب إذا لاحظ أن مجتمعه عاجز عن تلبية طموحاته وأهدافه، فربما سيقع في المحرمات والمعاصي، كالجائع الذي لا يستطيع الحصول على ما يسد جوعه، فتراه يسعى في الحصول على رغيته حتى إذا كان عن طريق السرقة في بعض الأحيان، فكذلك الشاب لا بد له من إيجاد وسائل وطرق تؤدي لحل مشاكله، وطرق تقوم بتلبية أمنيته، كي لا ينجر إلى تيار الفساد والعصيان، وأفضل وسيلة لذلك هي التنظيم الصالح.

ربما يقرؤه أحد الشباب

ذكر أحد الأشخاص قصة فقال: كنت أعمل في سوق الصقّارين ببغداد وهو سوق كبير، والعاملون فيه كلهم مسلمون، وكنت واحداً من الصقّارين، وقد كان أحد المسيحيين يأتي كل أسبوعين أو كل شهر مثلاً، ويقدم لكل صقّار كتاباً، وربما كان الكتاب مجلداً ضخماً بقيمة دينار كامل. وهو مبلغ كبير في ذلك الزمان. وعندما كان المبشر المسيحي يخرج من السوق، كان الصفارون يلقون بالكتب في النار (في الكورة التي يستخدموها لصهر النحاس وما أشبهه، حيث إنهم يعلمون أنها كتب مسيحية وحفظ كتب الضلال محرم).

يقول الراوي: فكرت ذات مرة أن أقول للمسيحي واقع الحال؛ حتى يمتنع عن الاستمرار في توزيع الكتب، وبالفعل عندما جاء هذه المرة ووزع الكتب، ولما أراد الذهاب تعقبته وقلت له: إنك تعلم أيها المبشر المسيحي إن هؤلاء مسلمون، وهم يحرقون هذه الكتب التي تعطيها لهم، فلماذا تفعل ذلك، إذ أنها جهود لا طائل تحتها ولا ثمرة لها؟!!

فتبسم المسيحي، وقال: إني أعلم بذلك منذ اليوم الأول؛ لأني رأيت بطرف عيني
إحراقهم للكتب!!

فقلت له: إذن ما الداعي لما تفعل!؟

قال: صحيح إن هؤلاء يحرقون الكتب ولكن ربما لا يحرق أحدهم الكتاب، بل يذهب به
إلى داره فيقع في يد ابنه الشاب أو ابنته الشابة، فيطالعه أو تطالعه ويؤثر عليهما ولو جزئياً،
وهذا ربح لنا!!

هكذا يضحون بالمال والأتعاب والطاقات في سبيل تحريف شخص واحد، فهؤلاء
يعملون هكذا، أما نحن فلإننا لم نستطع أو لم نبذل الجهد المطلوب لتثقيف شبابنا وفتياتنا .
وهذا هو سبب تأخرنا . نجد كثيراً من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن الفكر الإسلامي في مجال
السياسة الإسلامية، والاجتماع والاقتصاد وغيرها من معالم الإسلام، كما لا يعرفون شيئاً عن
كيفية عمل المستعمرين في بلادنا وأساليبهم وخططهم، ولا يعرفون كيف يواجهونهم ويسدون
الطريق عليهم.

الشباب والمبادئ والقيم

من اللازم أن يكون المعيار في العمل القيم والمبادئ والمعرفة الدينية، دون العمر أو
القوميات أو اللون أو العرق؛ فإن الدين أعلى القيم وأشرفها، ولا بد وضع الإنسان المؤمن
المتقي والعارف بدينه وعقيدته في مكانه المناسب، كما في القول المأثور: الرجل المناسب في
المكان المناسب^(٩٠)، حتى وإن كان هذا الرجل من قومية أخرى، فلا فرق في الإسلام بين
الهندي والباكستاني والعراقي والمصري والتركي والإيراني أو من أشبه؛ إذ ليست الجنسية
والقومية هي المعيار في تحديد شخصية الإنسان، بل إن المعيار
هو التقوى والكفاءة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٩١).

وقال عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

(٩٠) انظر نهج البلاغة، الكتب: ٥٣ كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) للأشتر النخعي، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه
للمحاسن. وفي هذا العهد يبين الإمام (صلوات الله عليه) لمالك المقاييس والضوابط لاختيار العمال كل حسب مؤهلاته
وإمكانياته.

(٩١) سورة الحجرات: ١٠.

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿٩٢﴾ .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كلكم بنو آدم طفّ الصاع إلا من أكرمه الله بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (٩٣) .

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «كان سلمان جالساً مع نفر من قريش في المسجد، فأقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم حتى بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب: أخبرني من أنت، ومن أبوك، وما أصلك؟

فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله عزوجل بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله)، هذا نسبي وهذا حسبي.

فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلمان (رضوان الله عليه) يكلمهم، فقال له سلمان: يا رسول الله، ما لقيت من هؤلاء، جلست معهم فأخذوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم، حتى إذا بلغوا إلي قال عمر بن الخطاب: من أنت، وما أصلك، وما حسبك؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): فما قلت له يا سلمان؟

قال: قلت له: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وكنت عائلاً فأغناني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وكنت مملوكاً فأعتقني الله عز ذكره بمحمد (صلى الله عليه وآله)، هذا نسبي وهذا حسبي.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا معشر قريش، إن حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، وقال الله عزوجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿٩٤﴾ .

ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله) لسلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضلٌ إلا بتقوى الله عزوجل، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل» (٩٥) . بالإضافة لمشورة سلمان التي

(٩٢) سورة الحجرات: ١٣ .

(٩٣) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٦٧ ب ٢٠ ح ١٣ .

(٩٤) سورة الحجرات: ١٣ .

(٩٥) الكافي: ج ٨ ص ١٨١ كتاب الروضة ح ٢٠٣ .

عمل بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في قضية حفر الخندق (٩٦).

ومن هنا يلزم الاهتمام بعقائد الشباب ومبادئهم وقيمهم؛ فإن العقيدة هي التي تحمي الإنسان في مختلف المراحل الحياتية، فالعقيدة الصحيحة بشكل كامل هي الضمان لعدم الانحراف في مختلف المفاصل، أما العقيدة المنحرفة بشيء من الانحراف فبقدر انحرافها يكون لها الأثر السلبي، وإذا بقي لها نوع من الصحة فبقدر صحتها تكسب الإيجابيات، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَّيْتُمْ صَوَامِعُ وَيَبِغُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (٩٧).

فالشرق حيث تجرد عن العقيدة الدينية بشكل مطلق، وأخذ يحاربها بمختلف صورها، سبب أكبر شقاء للبشرية، وقد سجل التاريخ مآسيه البشعة، فقد ذكر أن ستالين (٩٨) وحده قتل ما يزيد على عشرين مليون إنسان غير قتلاه في الحروب، إلى أن تحطم الاتحاد السوفياتي تحطماً كاملاً (٩٩).

(٩٦) انظر تفسير القمي: ج ٢ ص ١٧٦ سورة الأحزاب، كيفية غزوة الأحزاب.

(٩٧) سورة الحج: ٤٠.

(٩٨) جوزيف ستالين (١٨٧٩-١٩٥٣م) سياسي روسي من رجال الثورة البلشفية، أمين عام الحزب الشيوعي عام (١٩٢٢م) خلف لينين في زعامة الحزب والدولة السوفياتية عام (١٩٢٤م) حتى وفاته، قضى على مناوئيه في محاكمات صورية واستبد بالسلطة، حكم الاتحاد السوفيتي حكماً دكتاتورياً، من قادة الحرب العالمية الثانية، أطلق الحرب الباردة في مطلع الخمسينات ضد الدول الرأسمالية، هوجم تسلطه بعد موته فتعرض لحملة عنيفة كشفت عن فساد حكمه، دانه مؤتمر الحزب الشيوعي عام (١٩٥٦م) فشجب عبادة الشخصية التي كان يتصف بها، تم تحطيم تماثله ونصبه التذكارية، يعتبر صاحب وشريك لينين في فكره الباطل وعمله الذي جرح على البشرية أشجع المآسي والويلات، راجع قصة موت ستالين في كتاب: (من قصص المستبدين) للإمام الراحل (أعلى الله مقامه) : ص ٥٠ القصة رقم ٢٨.

(٩٩) الاتحاد السوفيتي، أو اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، دولة سابقة كانت تقع في أوروبا وآسيا، تتألف من خمس عشرة دولة تأسيسية هي: روسيا وأوكرانيا وأذربيجان وأرمينيا وأوزبكستان وتاجيكستان وتركمانستان وجورجيا وبلوروسيا وكازخستان وقرغيزيا ومولدافيا وأستونيا ولتوانيا وتبعثها جمهوريات أخرى، كان الاتحاد السوفياتي أكبر دول العالم مساحة وبلغ عدد سكانه عام (١٩٩٠م) (٢٩٢ مليون) نسمة، والاتحاد السوفياتي هو روسيا سابقاً أمبراطورية القيصرية الواسعة التي حكمتها أسرة رومانوف من عام (١٦١٣ - ١٩١٧م). بعد هزيمة الحرب العالمية الأولى قويت الحركة الماركسية فقامت ثورة (١٩١٧م) فنجح البولشفيك وسقط القيصر نقولا الثاني وسيطر الحزب الشيوعي بقيادة لينين، وتأسست الدولة الاشتراكية. وصل غورباتشوف إلى السلطة عام (١٩٨٥م) فاطلق سياسة إصلاحية أطلق عليها: البيروسترويك، وأعلن نظاماً رئاسياً عام (١٩٩٠م) ثم استعادت دول البلطيق استقلالها وانحل الاتحاد السوفياتي واستقال غورباتشوف عام (١٩٩١م). ومن أهم أسباب انهيار هذا الاتحاد هو محاربة الدين والشعور الديني بين الشعوب وكبت الحريات إلى أبعد حد، فعاد إلى عدة دول متنافسة كما كان سابقاً.

وأن (ماو) (١٠٠) قتل تسعاً وثلاثين مليوناً صبراً وقد تحطم بعد مدّة.
والغرب وإن كان أظهر اللامبالاة أمام العقيدة والدين إلا أنه اضطر إلى تقوية الكنيسة
واتباع رجالها في العقيدة المسيحية.
ومنه يعلم حال اليهود والهندوك ومن أشبهه.

الشباب وطلب العلم

إن العقيدة الصحيحة عصمة للإنسان وللمجتمع من الانحراف الفكري والعملي، وعلى
هذا فاللازم على القادة والعلماء الاهتمام بعقائد الشباب كل الاهتمام، وإلا أصبح أمرهم
مبعثراً، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرْطاً﴾ (١٠١) فإن الإنسان الذي لا ينظم حياته وفي مختلف مراحلها وأبعادها ومنها العقيدية
يكون أمره فرطاً، لا يعرف من أين يأخذ، وأين يعطي، وأين يسير، وماذا يعمل، وكيف
يبنى... حاله حال العنب الذي انفرط عن عنقوده، فإنه لا جامع له.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «اطلبوا العلم من معدن العلم، وإياكم والولائج؛
فهم الصادون عن سبيل الله» ثم قال: «ذهب العلم وبقي غبرات العلم في أوعية سوء،
واحدروا باطنها فإن في باطنها الهلاك، وعليكم بظاهرها فإن في ظاهرها النجاة» (١٠٢).

وحيث إن العقيدة الإسلامية المباركة مطابقة للعقل والفطرة والدليل، فالشباب يقبلونها
بسرعة، وإنما المهم تسييرهم في أول الخط حتى يسيروا إلى آخر الخط باستقامة وثبات، إن
شاء الله تعالى. قال الإمام الباقر (عليه السلام): «كل شيء لم لا يخرج من هذا البيت فهو

(١٠٠) ماو تسه تونغ (١٨٩٣-١٩٧٦م) زعيم ومنظر سياسي صيني صاحب الثورة الاشتراكية، ومن مؤسسي الحزب
الشيوعي في الصين، يعتبر الأب الروحي للثورة الصينية في العصر الحديث حتى الآن، وكتابه (الكتاب الأحمر) ترجم ونشر
بـ ٤٠٠ لغة خلال فترة غير طويلة. نظم قوات حرب العصابات الصينية المؤلفة في المقام الأول من فلاحين جندوا بوصفهم
نواة قوات الثورة الصينية، انتصر على قوات شيانغ كاي شيك وأسس جمهورية الصين الشعبية عام (١٩٤٩م) رئيس الدولة
عام (١٩٥٤.١٩٥٩م) وتزعم الحزب الشيوعي الصيني.

(١٠١) سورة الكهف: ٢٨.

(١٠٢) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٢٨٥ ب ٨ ح ٢١٣٥٨.

باطل» (١٠٣) .

كما على الشباب الالتفات إلى ضرورة تحصيل العلم والدراسة بما للكلمة من معنى، لا كالمعارف في هذا الزمان حيث إنهم إذا اشتغلوا بدراسة العلوم، وأنهوا الجامعة ابتدؤوا الحياة تاركين التقدم العلمي وتطوير معلوماتهم أو تنويعها من دون استفادات أخرى من التجارب والنظريات الجديدة؛ لذا يلزم المواظبة على طلب العلم دائماً، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» (١٠٤) . وهذا صحيح قطعاً، فمن المهد يتعلم الطفل كما ثبت في العلم الحديث (١٠٥) . وقد ورد عن المعصومين (عليهم السلام) استحباب ذكر الأذان في الأذن اليمنى والإقامة في الأذن اليسرى من المولود (١٠٦) .

وهكذا يكون العلم مستمراً إلى اللحد، ولذا ورد في الأحاديث: أن الميت يلقن في قبره، وربما كان ذلك ليتذكر ما نساه بسبب أهوال القبر، فإن الإنسان لا تموت روحه؛ فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ينبغي أن يتخلف عند قبر الميت أولى الناس به بعد انصراف الناس عنه، ويقبض على التراب بكفيه ويلقنه برفيع صوته، فإذا فعل كفي الميت المسألة في قبره» (١٠٧) .

(١٠٣) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٣٠٩ ب ١٠ ح ٢١٤٣٢ .

(١٠٤) شرح الأسماء الحسنى: ج ٢ ص ١١٣ .

(١٠٥) لقد أثبت الباحث الأمريكي بيتروجوسيزنيك من جامعة جون هوبكنز في بلتيمور أن بإمكان الطفل في شهره الثامن أن يسمع ويتذكر الكلمات التي يسمعاها، انظر مجلة النبأ: العدد ١٧-١٨ ص ٤١ .

(١٠٦) فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من ولد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة وليقم في أذنه اليسرى؛ فإنها عصمة من الشيطان الرجيم». تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٤٣٧ ب ٤٠ ح ٦ .

(١٠٧) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٠٢ ب ٣٥ ح ٣٤٠٥ .

وانظر (المسائل الإسلامية) للإمام الراحل (أعلى الله مقامه) المسألة ٦٦٨: يستحب أن تقرأ الأدعية المقررة المأثورة قبل الدفن وحين الدفن، وأن تفك عقد كفن الميت بعد أن يوضع في اللحد، وأن يوضع خد الميت على الأرض، وتوضع تحت رأسه مخدة من تراب.. وقبل أن يستر اللحد يضرب الدافن بيده اليمنى على منكب الميت اليمنى، ويضع يده اليسرى على منكب الميت اليسرى، ويقرب فمه من أذن الميت، ويحركه بقوة ويقول له . ثلاث مرات: اسمع افهم يا فلان بن فلان، ويذكر بدل (فلان بن فلان) اسم الميت واسم أبيه، فلو كان اسم الميت (محمدًا) واسم أبيه (عليًا) يقول الملقن ثلاث مرات: اسمع افهم يا محمد بن علي . ثم يقول:

(هل أنت على العهد الذي فارقنا عليه، من شهادة أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا (صلى الله عليه وآله) عبده ورسوله، وسيد النبيين وخاتم المرسلين، وأن عليًا أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وإمام افترض الله طاعته على العالمين، وأن الحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى،

هذا من جهة الامتداد الزمني، أما من جهة الامتداد المكاني، فقد روي عنه (صلى الله عليه وآله) : «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(١٠٨). حيث إن الصين كانت أبعد نقطة حضارية معلومة في ذلك العصر، ولعل السفر من الحجاز إليها - ذهاباً وإياباً - كان يتطلب سنوات من الزمن.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «اطلبوا العلم ولو بخوض اللجج وشق المهج»^(١٠٩).

وفي حديث آخر قال (صلى الله عليه وآله) : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(١١٠).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «سارعوا في طلب العلم، فوالذي نفسي بيده، لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه من صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة»^(١١١).

ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والقائم الحجة المهدي صلوات الله عليهم، أئمة المؤمنين وحجج الله على الخلق أجمعين، وأئمتك أئمة هدى أبرار، يا فلان بن فلان. فيذكر مكان فلان بن فلان، اسم الميت واسم أبيه... .
ثم يقول: (إذا أتاك الملكان المقربان، رسولين من عند الله تبارك وتعالى، وسألاك عن ربك، وعن نبيك، وعن دينك، وعن كتابك، وعن قبلتك، وعن أئمتك، فلا تخف ولا تحزن، وقل في جوابهما: الله ربي، ومحمد (صلى الله عليه وآله) نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، والكعبة قبلتي، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب إمامي، والحسن بن علي المجتبي إمامي، والحسين بن علي الشهيد بكريل إمامي، وعلي زين العابدين إمامي، ومحمد الباقر إمامي، وجعفر الصادق إمامي، وموسى الكاظم إمامي، وعلي الرضا إمامي، ومحمد الجواد إمامي، وعلي الهادي إمامي، والحسن العسكري إمامي، والحجة المنتظر إمامي، هؤلاء صلوات الله عليهم أجمعين أئمتي وسادتي وقادتي وشفعائي، بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ في الدنيا والآخرة، ثم اعلم يا فلان بن فلان (ويذكر مكان فلان بن فلان اسم الميت واسم أبيه ثم يقول) أن الله تبارك وتعالى نعم الرب، وأن محمداً (صلى الله عليه وآله) نعم الرسول، وأن علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين الأئمة الأحد عشر نعم الأئمة، وأن ما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) حق، وأن الموت حق، وسؤال منكر ونكير في القبر حق، والبعث حق، والنشور حق، والصراف حق، والميزان حق، وتطير الكتب حق، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، (ثم يقول) : أفهمت يا فلان، ويذكر مكان فلان اسم الميت ثم يقول: ثبتك الله بالقول الثابت وهداك الله إلى صراط مستقيم، عرف الله بينك وبين أوليائك في مستقر رحمته، (ثم يقول) : اللهم جاف الأرض عن جنبه، وأصعد بروحه إليك، ولقّه منك برهانا، اللهم عفوك عفوك) .

(١٠٨) روضة الواعظين : ص ١١ باب الكلام في ماهية العلوم وفضلها.

(١٠٩) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٧٧ ب ٢٣ ضمن ح ١١٣.

(١١٠) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٤٩ ب ٤ ح ٢١٢٥٠.

(١١١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٨ ب ٨ ح ٣٣٣١٣.

قصة في طلب العلم

يذكر أن أحد العلماء الفقهاء زار أحد العلماء الرياضيين وهو في حالة الاحتضار، فسأله العالم المختصر عن مسألة فقهية عميقة، مثل إرث الأجداد الثمانية (١١٢).

فقال له الفقيه: كيف تسأل هذا السؤال ولا تحتاج إليه، لأنك على أبواب الآخرة وتقضي آخر يوم من أيام الدنيا؟

فأجابه العالم الرياضي بجواب جميل جداً قائلاً: هل إذا مت وأنا أعلم هذه المسألة أفضل أو مت وأنا لا أعلم هذه المسألة؟

قال الفقيه: إذا كنت تعرف هذه المسألة كان أفضل.

فقال العالم الرياضي للفقيه: إذا تفضل بالجواب، وأخذ الفقيه يبين له الجواب.. وما أن انتهى من الجواب إلا وقد مات العالم الرياضي.

فهكذا يلزم أن يكون الاهتمام بالعلم..

فكلما كان الإنسان أعلم كان أفضل لحياته ومماته، لنفسه ولغيره.

«اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعّد المعصية، وصدق النية، وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدّد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملاً قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهر بطوننا من الحرام والشُّبهة، وأكف أيدينا عن الظلم والسرقة، وأغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، واسدّد أسماعنا عن اللغو والغيبة، وتفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة..» (١١٣).

(١١٢) راجع كتاب (الإرث في الإسلام) للإمام الشيرازي رحمه الله و (المسائل الإسلامية) ص ٧٣٩ الطبعة ٢٥ - دار العلوم - بيروت لبنان.

(١١٣) المصباح الكفعمي: ص ٢٨٠ ف ٢٩ دعاء مروى عن الإمام المهدي (عليه السلام).

من هدي القرآن الحكيم

القدوة والأسوة الحسنة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (١١٤).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٥).

وقال عزوجل: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١١٦).

وقال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ... يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١١٧).

درجات التفضيل بين الناس

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١١٨).

وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٩).

وقال عزوجل: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ

(١١٤) سورة الممتحنة: ٦.

(١١٥) سورة آل عمران: ٣١.

(١١٦) سورة يونس: ٣٥.

(١١٧) سورة الأعراف: ١٥٧.

(١١٨) سورة التوبة: ١٩.

(١١٩) سورة النساء: ٩٥.

تَفْضِيلاً ﴿١٢٠﴾ .

العمل التبليغي

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (١٢١) .

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٢٢) .

وقال عزوجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٢٣) .

العمل مقياس للكفاءة

قال عزوجل: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (١٢٤) .
وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (١٢٥) .

وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ بَعَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٦) .
وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (١٢٧) .

(١٢٠) سورة الإسراء: ٢١ .

(١٢١) سورة الأحزاب: ٣٩ .

(١٢٢) سورة النحل: ١٢٥ .

(١٢٣) سورة فصلت: ٣٣ .

(١٢٤) سورة البقرة: ٦٢ .

(١٢٥) سورة طه: ٧٥ .

(١٢٦) سورة الأنعام: ١٣٢ .

(١٢٧) سورة ص: ٢٨ .

من هدي السنة المطهرة

رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو القدوة

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «أحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه (صلى الله عليه وآله) والمقتص لأثره» (١٢٨).

وقال (عليه السلام): «ارض بمحمد (صلى الله عليه وآله) رائداً وإلى النجاة قائداً» (١٢٩).

وقال (عليه السلام): «اقتدوا بهدى نبيكم فإنه أصدق الهدى، واستنوا بسنته فإنها أهدي السنن» (١٣٠).

وقال (عليه السلام): «يا أيها الناس، إنه لم يكن لله سبحانه حجة في أرضه أوكد من نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، ولا حكمة أبلغ من كتابه القرآن العظيم، ولا مدح الله تعالى منكم إلا من اعتصم بجله واقتدى بنبيه، وإنما هلك من هلك عندما عصاه وخالفه واتبع هواه؛ فلذلك يقول عز من قائل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣١) « (١٣٢).

أفضل الناس

سئل عيسى (عليه السلام) من أفضل الناس قال: «من كان منطقته ذكراً وصمته فكراً ونظرة عبرة» (١٣٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق

(١٢٨) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٠ من خطبة له (عليه السلام) في عظمة الله.

(١٢٩) نهج البلاغة، الكتب: ٣١ من وصية له (عليه السلام) للحسن بن علي عليه السلام.

(١٣٠) نهج البلاغة، الخطب: ١١٠ من خطبة له (عليه السلام) في أركان الدين.

(١٣١) سورة النور: ٦٣.

(١٣٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٠ ق ١ ب ٤ ف ٣ ح ١٩٦١.

(١٣٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٢٥٠ باب التفكير.

أحب إليه وإن نقصه» (١٣٤) .

وقال (عليه السلام) : «فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهُدَى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة مجهولة» (١٣٥) .

وقال (عليه السلام) : «إن أفضل الناس عند الله، من أحيا عقله، وأمات شهوته، وأتعب نفسه لصالح آخرته» (١٣٦) .

الإخلاص في العمل

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابن مسعود: «يا ابن مسعود، إذا عملت فاعمل لله خالصاً، لأنه لا يقبل من عباده الأعمال إلا ما كان خالصاً» (١٣٧) .

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : «طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه، وحبه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وفعله وقوله» (١٣٨) .

وقال (عليه السلام) : «العمل كله هباء إلا ما خلص فيه» (١٣٩) .

وقال (عليه السلام) أيضاً: «في إخلاص الأعمال تنافس أولي النهى» (١٤٠) .

العمل مقياس للكفاءة

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه» (١٤١) .

وقال (صلى الله عليه وآله) : «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر

(١٣٤) نهج البلاغة، الخطب: ١٢٥ من كلام له (عليه السلام) في التحكيم.

(١٣٥) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٤ من كلام له (عليه السلام) لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان...

(١٣٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٠ ق ١ ب ١ ف ٤ ح ٣٠٨.

(١٣٧) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٠٥ ب ٥ ح ١.

(١٣٨) تحف العقول: ص ١٠٠ باب ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من خطبته المعروفة بالوسيلة.

(١٣٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ ح ٢٨٩٦.

(١٤٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ ح ٢٩٠٥.

(١٤١) نهج الفصاحة: ص ١٤٦ ح ٧١٧.

إلى قلوبكم وأعمالكم» (١٤٢) .

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : «الشرف عند الله سبحانه بحسن الأعمال لا بحسن الأقوال» (١٤٣) .

وقال أبو الحسن الثالث الإمام علي الهادي (عليه السلام) : «الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال» (١٤٤) .

الفهرس

كلمة الناشر	٢
الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قدوة وأسوة	٦
الرسالة العظيمة والمرأة	١٠
الابتعاد عن الروح الإسلامية	١٢
واقع بلا أسوة	١٤
الرسول (صلى الله عليه وآله) يختار الشباب الصالحين	١٦
طاقات الشباب	١٨
لا لقياس العمر	١٨
الرسول (صلى الله عليه وآله) يعين أسامة قائداً للجيش ...	٢١
موقعة حنين	٢٢
مصعب بن عمير	٢٣
رسول الرسول (صلى الله عليه وآله)	٢٤
استشهاد مصعب بن عمير	٢٦
ذو البجادين	٢٧
الشباب والعمل التنظيمي	٢٨

(١٤٢) تنبيه الخواطر ونزهة الناظر: ج ٢ ص ٢٢٨ .

(١٤٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٣ ق ١ ب ٦ ف ٤ ح ٢٨٣٨ .

(١٤٤) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٠٥ ب ٢٨ ح ٣ .

تنظيم الشباب	٢٩
من لوازم التنظيم	٣١
من هم قادة الشباب؟	٣٢
القائد الناجح والشباب	٣٣
ربما يقرؤه أحد الشباب	٣٤
الشباب والمبادئ والقيم	٣٥
الشباب وطلب العلم	٣٨
قصة في طلب العلم	٤١
من هدي القرآن الحكيم	٤٢
القدوة والأسوة الحسنة	٤٢
درجات التفضيل بين الناس	٤٢
العمل التبليغي	٤٣
العمل مقياس للكفاءة	٤٣
من هدي السنة المطهرة	٤٤
رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو القدوة	٤٤
أفضل الناس	٤٤
الإخلاص في العمل	٤٥
العمل مقياس للكفاءة	٤٥
الفهرس	٤٦

[رجوع إلى القائمة](#)